

ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

(معتمد ومصنف دوليًا)

الرقم الدولي المعياري للمؤتمر



المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية



اللسانيات الهوياتية:

دور اللغة العربية في تشكيل الهوية من الذات إلى الأمة

إعداد

د. جمال بن جار الله القعوبوي

أستاذ اللسانيات وتحليل الخطاب المساعد؛ في جامعة المستقبل

المملكة العربية السعودية

1446 هـ - 2025 م

اللسانيات الهويةية: دور اللغة العربية في تشكيل الهوية من الذات إلى الأمة.

أولاً: تقديم:

تعرض اللغة العربية لتحديات متزايدة تمسّ مكانتها ووظيفتها الهويةية، وتزداد وطأة هذه التحديات في وقت تتشابك فيه الهويات وتتسارع فيه تحولات الثقافة والاتصال، فاللغة العربية ليست مجرد وسيلة تواصل، بل هي المكون الأساسي في بناء الفرد والمواطن والأمة، وهي قادرة على ذلك متى ما أتاحت لها الفرصة، وحرّص أبنائها أن يضعوها في موقعها المناسب. وهذه الورقة البحثية تسعى إلى إبراز دور الهوية اللغوية في بناء الذات والوطن والأمة.

وليس يخفى أن اللغة العربية خصوصيات، ومن أهمها كونها لسان الرسالة، وحامل الذاكرة الحضارية والدينية للأمة العربية، مما يجعلها عنصراً رئيسياً في بناء الهوية الفردية والوطنية والعربية والإسلامية. لكن هناك تحديات تواجه هذه الخصيصة وتعيق من ظهور أثرها، مثل: العولمة، وازدواجية اللغة، وانفصال الأجيال عن الفصحى وغيرها مما يهدد هذا الدور الهويةي تهدد، ويستدعي مراجعة علمية واعية ولهذا تنبثق مشكلة البحث في مدى إسهام اللغة العربية، من منظور اللسانيات الهويةية، في تشكيل الهوية بمستوياتها المختلفة، والسبل الممكنة لتفعيل هذا الدور في ضوء المتغيرات الراهنة.

ثانياً: مشكلة البحث:

رغم ما تتميز به اللغة العربية من عمق حضاري وقيمة دينية، إلا أن دورها في بناء الهوية الشخصية والوطنية والعربية والإسلامية يواجه تراجعاً ملحوظاً في حياتنا المعاصرة، ويمكن أن يرجع هذا التراجع لعدة عوامل، لعل من أهمها: هيمنة اللغات الأجنبية في البيئة العربية، وازدواجية اللغة، وضعف السياسات اللغوية، وانفصال الأجيال عن الفصحى. ومن هنا تتحدد المشكلة في سؤال عام، هو: ما مدى إسهام اللغة العربية من منظور اللسانيات الهويةية في تشكيل الهوية بمستوياتها المختلفة؟ وما التحديات التي تهدد هذا الدور في ظل التحولات الراهنة؟ وينبثق عنها أسئلة الدراسة الفرعية التالية:

أسئلة البحث:

1. ما العلاقة بين اللغة العربية والهوية من منظور اللسانيات الهويةية؟
2. كيف تسهم اللغة في تشكيل الانتماء الفردي والجمعي؟
3. ما أبرز التحديات التي تواجه الوظيفة الهويةية للغة العربية اليوم؟
4. كيف يمكن تفعيل هذا الدور في ظل التحديات المعاصرة؟
5. ما أهم وسائل اللغة العربية في تعزيز الهوية للفرد والمواطن والأمة؟

ثالثاً: أهمية البحث وأهدافه: تنبع أهمية هذه الورقة مما يلي:

1. أنها تسلط الضوء على الوظيفة الهوياتية للغة العربية بوصفها حاملة للذاكرة العربية والوعي والانتماء.
2. أنها تُعيد الاعتبار للغة العربية في خضم التحولات الثقافية التي تهدد رموز الانتماء الحضاري.
3. أنها تقدم رؤية لسانية حديثة لفهم أدوار اللغة في زمن التعدد، والصراع الرمزي، والعولمة.

أما أهدافه فتهدف إلى:

- 1- إبراز اللغة العربية كفاعل أساسي في الهوية في ضوء مقاربات اللسانيات الهوياتية.
- 2- تحليل أثر اللغة في تشكيل الانتماء الفردي والجمعي، دينياً وقومياً.
- 3- دراسة التحديات المعاصرة التي تواجه هذا الدور.
- 4- اقتراح سبل لتعزيز العربية في بناء الهوية.

رابعاً: فرضيات البحث:

1. هناك علاقة طردية بين التمكن من اللغة الفصحى وتعزيز الانتماء الذاتي والوطني والديني.
2. التراجع في استخدام العربية يؤدي إلى تصدّع الهوية على المستوى الفردي والجماعي.
3. ضعف السياسات اللغوية والتعليمية من أبرز أسباب ضعف الوظيفة الهوياتية للغة.
4. يمكن للرؤية اللسانية الحديثة أن تفتح أفقاً لحماية اللغة وتعزيز الهوية.

خامساً: منهجية الدراسة وإطارها النظري:

- 1- **المنهجية:** تتبنى هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مستعينةً بمقاربة ببنية تستثمر أدوات من حقول معرفية مختلفة، حيث تعتمد على تحليل الخطاب (Discourse Analysis) لفحص اللغة في سياقاتها الاجتماعية وتأثيرها الفعلي، وتستعين بأدوات اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics)؛ لدراسة العلاقة بين المتغيرات اللغوية والبنى الاجتماعية، وتوظف منظور النقد الثقافي (Cultural Criticism) للكشف عن الأبعاد الرمزية وعلاقات القوة الكامنة في استخدام اللغة وتأثيرها على الهوية.

2- **الإطار النظري:**

النشأة والاتجاهات : مسألة الهوية والانتماء من أخطرتوجه الأمة العربية لأنه تشكل قضية وجود في مقابل الآخر ، وقد حاولت الدراسات اللسانية الحديث أن تقوم بالدور الوظيفي في إبراز هذا دور ومعالجته ، وزادت محاولات الاهتمام لفهم العلاقة بين اللغة والانتماء والهوية؛ لإبراز الكيانان التي تمثل الذات والآخر؛ فظهر مصطلح اللسانيات الهويةانية (Identity Linguistics)؛ لإيضاح علاقة الدراسات اللغوية بالاجتماعية والثقافية وتأثيرات اللغة على الهوية والانتماء ، لتتبلور فكرة اللسانيات الهويةانية حول تمثيلات الذات ، الفردية والجماعية في سياقات متنوعة تُبرز ذلك ؛ لتعبر عن الذات والتصورات الثقافية، وتوجه الوعي الاجتماعي والسياسي والديني وكل ما من شأنه أن يبرز الذات في مقابل الآخر، على المستوى الفردي أو الجماعي .

اللغة:

(Language) اللغة نظام رمزيّ معقّد يستخدمه الإنسان للتعبير عن أفكاره ومشاعره وإثبات ذاته وحياته، لذلك فهي الأداة المركزية في تكوين الهوية الفردية والاجتماعية؛ لأنها لا تنقل المعاني فقط، بل تُعيد تشكيل الوعي بها الفردي والجماعي ؛ فالفرد لا يكتسب اللغة بوصفها مهارة تواصلية فحسب، بل يندمج من خلالها في نظام ثقافي وتاريخي يُحدّد انتماءه وموقعه في الجماعة . وإلى ذلك أشار (Joseph 2004) أن اللغة ليست مجرد أداة اتصال، بل هي العامل البنيوي الذي يُنتج الانتماءات الدينية والإثنية والوطنية ويعيد إنتاجها داخل المجتمعات الحديثة (p. 13)..

الهوية (Identity):

الهوية هي الإطار النفسي والثقافي والاجتماعي الذي يُشكّل تصور الإنسان لذاته وعلاقته بجماعته، وهي ليست ثابتة بل يُعاد صياغتها عبر اللغة والتفاعل. وفي الدراسات اللسانية الهويةانية، تُفهم الهوية على أنها نتاج خطابي تُبنى من خلال الممارسة اللغوية والموقع الاجتماعي. وقد عرّف كل من Bucholtz & Hall (2005) الهوية بأنها " نتاج تفاعلي يُبنى باستمرار عبر اللغة والخطاب". مؤكّدين أن التفاوض اللغوي مع الآخر يُحدّد ملامح الانتماء والاختلاف (pp. 588–590). كما يذهب (Block 2007) إلى أن الهوية لا تُفهم إلا من خلال اللغة التي يُعبّر بها عنها، فهي وسيلة التفاعل، ومجال التفاوض حول الانتماء داخل المجتمع (pp. 2–3).

الذات : (Self)

يُشير مصطلح الذات في اللسانيات الهويةية إلى تصور الفرد لذاته، ويتم بناؤها لغويًا عبر التفاعل الاجتماعي. ويُعاد تشكيلها من خلال اللغة والمواقف الخطابية (Gee, 2000, p. 99).

الأمة: (Nation)

واما عن مصطلح الأمة لا يقصد به الكيان الجغرافي أو السياسي فقط بل أعمق من ذلك، حيث يمثل الجماعة المتخيلة. يجمع أفرادها مفاهيم وسرديات مشتركة، وتُعد اللغة من أبرز أدوات بناء هذه الخيال الجمعي (Anderson, 2006, p. 6).

الآخر (Otherness):

الآخر يُمثل النقيض الرمزي للذات، وتُبنى الهويات غالبًا في مقابل الآخر الذي تُسقط عليه اللغة صفات مختلفة تعزز الإحساس بالتمايز (Said, 1978, p. 332).

سادسًا: تحليل أبعاد العلاقة بين اللغة العربية والهوية في مستوياته المتنوعة. ونتناول الأفكار التالية:
أولًا: اللسان الأم والتمثيل الذاتي:

يتشكل الوعي الفردي للأشخاص بناء على عامل محوري وهو دور اللغة الأم باعتبارها الإطار البنوي الأولي الذي تتكوّن من خلاله الذات، ويُبنى عبره وعي الإنسان بنفسه وبالعالم المحيط. ومن منظور اللسانيات النفس- لغوية يظهر منذ اللحظات الأولى للإدراك، أن الطفل يستمع إلى لغة أمه، ويبدأ من خلالها في بناء صورته الذاتية وتصوراتهِ عن الواقع، فالكلمات الأولى التي يتلقاها الطفل لا تُختزن بوصفها رموزًا صوتية مجردة، بل تُشكّل تمثيلات رمزية معرفية (Cognitive Representations) للعالم، تترسّخ في ذهنه، وتُسهّم في بناء تصوّراته العاطفية والمعرفية، وتوجّه استجاباته وسلوكه. وهنا تتجلى اللغة الأم بوصفها ليست فقط أداة تعبير، بل وسيلة للإدراك والتفاعل وتكوين الهوية النفسية والاجتماعية الأولى. وقد أوضح جوزيف (Joseph, 2004) أن الهوية ليست كيانًا مكتشفًا بيولوجيًا أو وجودًا مستقلًا، وإنما تُكتسب من خلال اللغة التي ينتمي إليها الفرد؛ فعندما يصرّح الإنسان بقوله: "أنا سعودي" أو "أنا عربي"، فإنه لا يقدم معلومة حيادية، بل يفصح عن انتماء ثقافي وتاريخي متجذر، تعبّر عنه اللغة وتنقله. فالهوية، في هذا السياق، بناء لغوي واجتماعي أكثر من كونها جوهرًا ثابتًا (Joseph, 2004)..

ويتجلى هذا البعد الهويةي للغة الأم في مظاهر الحياة اليومية؛ فالطفل الذي يتكلم بلهجة بينته ينسجم تلقائيًا مع جماعته، ويتماهى مع ثقافتهم ويمارس مجالات حياته المختلفة بسلاسة ويسر لأنه إنما يبني نفسه

وتصوراته عن طريق تلك اللهجة التي يعيش بها، ويكتسب رموزهم ودلالاتهم الاجتماعية عن طريقها. وكذلك المغترب حين يتحدث بلغة وطنه إنما يستعيد شعور الانتماء حتى وهو في بيئة مغايرة؛ ولهذا تحرص الأمم على صون لغتها الأم، لكونها تمثل جوهر الهوية الجماعية، وضياها نذير بفقدان الانتماء والانفصال الرمزي عن الأصل.

ويُعزّز هذا الفهم ما ذهب إليه بيير بورديو (Bourdieu, 1991)، حيث رأى أن اللغة ليست أداة تواصل محايدة، بل وسيلة لإنتاج السلطة الرمزية داخل المجتمع، وأن من يمتلك الرأسمال اللغوي يملك موقعاً قوياً داخل الحقل الاجتماعي. واللسان الأم هو أول رأسمال لغوي يكتسبه الإنسان، ومن خلاله تتكوّن تمثلاته الذاتية، وتُحدّد مكانته الرمزية. وبهذا يبرز الدور المهم الذي تلعبه اللغة الأم للمتحدث في بناء هويته وتحديد توقعاته. ولهذا نتبين أنه من منظور اللسانيات الاجتماعية، فإن اللغة الأم تؤدي دوراً محورياً في تحديد مواقع الخطاب (Positionings) التي يشغلها الفرد منذ طفولته؛ فهي التي ترسم حدود انخراطه في البنية الثقافية والاجتماعية المحيطة به، وتسهم في تشكّل هويته من خلال التفاعل والتأثير والانتماء الجماعي. وقد تناولت مقاربة (Bucholtz & Hall 2005) هذا الدور في سياق نظرية الهوية الناشئة، التي ترى أن الهوية تُنتج تفاعلياً في كل ممارسة لغوية، ولا تُفهم إلا داخل شروطها الخطابية والاجتماعية.

وبذلك، فإن اللغة الأم ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي وعاء للكينونة، وذاكرة جماعية، ومجال لتشكيل الهوية، بها نُؤلد، وبها نعي أنفسنا، وبها نُعرف ونُعرّف.

ثانياً: اللغة والهوية الوطنية والقومية:

تتجاوز اللغة العربية كونها مجرد وسيلة للتواصل، لتصبح الوعاء الحامل لذاكرة الأمة، وقيمها، وتاريخها المشترك. فاللغة هي التي تحفظ التراث الشعبي، وتمثل الجسر الذي تعبر من خلاله الأمثال والمرويات التاريخية التي تشكل الوجدان الجمعي. وفي هذا السياق، تمثل اللغة العربية ذاكرة الأمة ولسانها التاريخي؛ فقد احتضنت ثقافة الأمة وعلومها، والكتابات الفلسفية، والأدب، وكانت بمثابة السجلات الحافظة للحياة اليومية في الحضارة العربية. ومن ثمّ، فإنها تشكّل الركيزة الكبرى للهوية العربية الجامعة.

ومن منظور تحليل الخطاب النقدي، يرى فيركلف (Fairclough, 2010) أن اللغة التي تحافظ على موقعها في المجال العام – السياسي والإعلامي – تظل فاعلة في تشكيل الهوية الجمعية. وهذا يعني أن استمرار حضور الفصحى في الفضاء العام ضروري لصون الذاكرة الحضارية، وتمكين الأجيال من تمثيلها، وجعلها منطلقاً لمستقبل أكثر إشراقاً. ويؤكد تحليل الهوية أن العلاقة بين اللغة والهوية القومية العربية هي علاقة بناء متبادل؛ فكما أن اللغة تحمي الهوية، فإنها أيضاً تكتسب قوتها من وظيفتها الجامعة. وفي هذا

الصدد، يؤكد إبراهيم أنيس (1982) أن الفصحى اكتسبت استمراريتها من كونها لغة الأدب والمعرفة والإدارة التي توحد بين مختلف الأقطار العربية.

واللغة- كما أكد نورمان فيركلف (Fairclough, 1992) - تتقاطع مع السلطة والهوية والذاكرة في آنٍ واحد، فهي ليست محايدة، بل تُستخدم دائماً لخلق رموز الانتماء وإعادة إنتاج الذاكرة الجمعية. وهذا يفسر لماذا اعتمد كثير من رموز المقاومة والنهضة في العالم العربي اللغة العربية كركن أساسي في الصراع الحضاري، حيث حافظ اللسان العربي على الكينونة الثقافية العربية في وجه محاولات الاحتلال والتغريب (Fairclough, 1992, p. 54). فاللغة هنا ليست مجرد انعكاس للثقافة، بل هي أداة إنتاجها وتداولها. ولهذا، يؤكد عبد الله الدنان (2013) أن العربية ليست لغة قومية فحسب، بل هي لغة مقاومة ورمزية نضالية، ارتبطت في الوعي العربي الحديث بالنضال من أجل الاستقلال الثقافي والهويتي. وأي تراجع في مكانة الفصحى يمثل تهديداً مباشراً لهذا الانتماء، وهو ما يشير إليه عادل جندي (2021) عند حديثه عن أن تراجع استعمال الفصحى في الإعلام والتعليم يؤدي إلى تهشيم الانتماء الثقافي العربي لصالح هويات لغوية هجينة، مما يستدعي إعادة تفعيل دورها في الفضاء العام بوصفها رمزاً للوحدة والانتماء الوطني والقومي.

ثالثاً: اللغة العربية والهوية الإسلامية:

تحتل اللغة العربية في علاقتها بالدين الإسلامي مكانة فريدة تتجاوز كونها مجرد أداة لقراءة النص الديني وتفسيره. فإضافة إلى ذلك فإن جوهرها يشكل لغة الشعائر والتشريعات، حيث تُقام بها العبادات من صلاة وذكر ودعاء، وتُصاغ بها الأحكام، مما يمنحها بعداً روحياً ووظيفياً لم تحظ به لغة أخرى بهذا الشمول. هذا الارتباط العضوي بين اللغة والعقيدة يجعل من العربية مكوناً تأسيسياً في تشكيل الهوية الإسلامية الجامعة، حيث لا يقتصر دورها على الفهم المعرفي، بل يمتد ليشكل الوعي الديني والوجداني الروحي للمسلم. هذه العلاقة التأسيسية تجعل من الاهتمام باللغة العربية وتوسيع مجالاتها الحيوية فعلاً من أفعال تنمية الهوية الإسلامية ذاتها؛ فالتمكين للغة هو تمكين للرؤية العقدية التي تحملها، وتراجعها لا يمثل مجرد ضعف لغوي، بل هو تهديد مباشر لأليات فهم القيم والمبادئ والتشريعات الدينية والمقصد والأهاليات والتفاعل معه. وفي هذا السياق، يمكن فهم رؤية فان دايك (2000). الذي يشير إلى أن اللغة حين تقترن بالعقيدة تصبح رمزاً قوياً للانتماء، وهو ما ينطبق بشكل نموذجي على اللغة العربية الفصحى في علاقتها بالإسلام، حيث تعمل كأداة لتوحيد الأمة عبر الزمان والمكان، وتمنح أفرادها هوية مشتركة تتجاوز الأعراف والحدود الجغرافية.

وانطلاقاً من هذا الدور المحوري يرى باحثون مثل محمد عبد الواحد (2007) أن اللغة العربية ليست مجرد ناقل، بل هي الحامل الثقافي والحضاري للدين الإسلام، ومن ثم فإن أي تراجع في مكانتها أو انفصال عنها لا يؤدي فقط إلى صعوبة في فهم النصوص، بل إلى انفصام خطير في تلقي النصوص الشرعية والتفاعل معها. (عبد الواحد، 2007). وهذا بدوره يفرغ الشعائر من عمقها الروحي، ويحول النصوص التشريعية إلى مجرد قوانين شكلية منفصلة عن سياقها القيمي والأخلاقي والمقاصدي. ويصبح الحفاظ على اللغة العربية، من هذا المنظور، ليس مجرد قضية لسانية، بل هو ضرورة للحفاظ على استمرارية الهوية الإسلامية وفعاليتها في حياة الفرد والأمة.

سابعاً: تحليل الواقع والتحديات التي تواجه الوظيفة الهويةية للغة العربية.

يواجه الدور الهويةي للغة العربية تحديات متعددة معقدة، داخلية تتعلق بالاستخدام والسياسات اللغوية، وخارجية ترتبط بالتحويلات الثقافية والعولمة. وهذا التحليل الذي أقدمه يستند إلى منظور اللسانيات الهويةية لتقييم تأثير هذه العوامل على العلاقة بين اللغة والهوية، على الصعيدين الفردي والجماعي. ولعل من أهم هذه التحديات ما يلي:

التحدي الأول: هيمنة اللغات الأجنبية وتهميش اللغة العربية:

ساهمت العولمة وانتشار أنظمة التعليم والإعلام والانفتاح الثقافي في فرض لغات مثل الإنجليزية والفرنسية بديلاً للعربية في التعليم العالي في بعض المؤسسات والجامعات وفي التخصصات العلمية في الجامعات وعلى صعيد سوق العمل، مما أدى إلى تهميش العربية في وعي أبنائها كلغة العلم والحدثة. (Phillipson, 1992, pp. 47-48). كما يبرز ذلك ويتجلى أيضاً في الاعتماد على مصطلحات أجنبية في الحياة اليومية، مما يُظهر تحولاً في القيمة الرمزية للغة داخل الوعي الاجتماعي (Kramsch, 2009, pp. 14-15)..

ولم يعد الخطر على اللغة العربية كونها تعيش في أوطانها حالة من الحصار من طرف اللغات الأجنبية فحسب؛ بل الخطر يتجاوزها إلى الأمة نفسها؛ يدمر فيها أولاً الانتماء، ثم يدمر بعد ذلك كل معاني القوة ويطفئ في داخلها جذوة الأمل والحرص على التفوق والرغبة في التقدم والإصرار على الاحتفاظ بمكان القيادة، فتبقى إلى نهاية الزمان متردية في قاع التبعية التي تؤدي غالباً إلى مسخ روح الأمة، ... لأن التعبير عن الانتماء والهوية لا يتأتى من خلال لغة أجنبية بل ذلك مؤداه إلى ذوبان الهوية في لغة المجتمع صاحب اللغة المستخدمة". (بوراس، ص5-6)؛ لنؤكد أن هيمنة اللغات الأجنبية تؤدي إلى انفصال الأجيال.

التحدي الثاني: انفصال الأجيال الجديدة عن الفصحى:

ليس من شك أن انفصال الأجيال الجديدة عن اللغة العربية الفصحى ظاهرة مقلقة تُلقي بظلالها على مستقبل الهوية العربية، حيث تتزايد الفجوة بين لغة التراث والمعرفة وبين اللغة اليومية المتداولة. وقد وضحت سلفاً أن اللغة هي الأساس الأول في التكوين الثقافي والاجتماعي والسياسي لأي مجتمع من

المجتمعات، ولذلك قالوا عنها إنها ظاهرة اجتماعية بامتياز. وهي التي تبلور أفكار هذا المجتمع وتعمل على تشكيلها؛ لذلك ينصح علماء التربية والنفوس والاجتماع واللغة بضرورة استعمال اللسان الوطني في المراحل التعليمية كلها إن أمكن. (الود غيري، د.ب)؛ لأن ترك الأجيال دون تعلم العربية الفصحى ودون ممارستها يزيد من الفجوة بين الأجيال وبين تاريخهم وهويتهم، فنبّهت الصورة حتى تتلاشى وقد تموت؛ فاللغات تموت بموت حاملها وهي الأمة في مجموعها التي لاتعيش بها ولا تعبر عن فكرها ومشاعرها وثقافتها. وهذا يؤكد أنّ العلاقة بين اللغة والأمة هي علاقة وجودية. عندما تصبح الفصحى، التي تمثل جسراً إلى التاريخ الإسلامي والعربي، وإلى الأدب والفكر، غريبة عن الأجيال الصاعدة، ينشأ شرخ عميق في التواصل الثقافي بين الماضي والحاضر. هذا الانفصال لا يقتصر على مجرد عدم القدرة على الفهم أو التعبير، بل يتجاوز ذلك ليؤثر في بناء الوعي التاريخي والثقافي للأجيال الشابة، فتضيع الهوية الثقافية للأمة. (المسدي، 2014)؛ لذا تشير الأبحاث إلى أن الجيل الحالي يواجه ضعفاً في ممارسة الفصحى والتفاعل مع نصوص التراث والثقافة الدينية، مما يؤدي إلى استنحار الهوية الثقافية (Pavlenko & Blackledge, 2004- Jernudd & Neustupný, 1987). ويفاقم من هذا الانفصال ض التخطيط وضعف السياسات اللغوية.

التحدي الثالث: ضعف السياسات اللغوية وغياب التخطيط:

من أخطر ما يواجه اللغة العربية عدم وضوح الرؤية في التخطيط للسياسات اللغوية، وهذا يدخل في صلب ما يُعرف بالتخطيط اللغوي (Language Planning)، وهو فرع تطبيقي من اللسانيات الاجتماعية يهتم بكيفية إدارة الدول لشؤونها اللغوية. وغياب إرادة سياسية واضحة يُضعف مكانة العربية، فإنه لا خلاف في كون الحفاظ على اللغة حفاظاً على الهوية، وكما يقول المسدي في التاريخ عبراً " فلقد اجتمع في الولايات المتحدة من الأجناس والأعراق ما لم يكن يسمح في بدئه بأي توافم ثقافي، ولكن الرابطة اللغوية - في إطار اللغة الإنكليزية - قد جسمت هوية قومية ما كان لها أن تتشكل لولا التوحيد اللغوي الذي هو من صنع الإرادة البشرية. وكانت الجمهوريات الروسية في مطلع القرن العشرين على قاب قوسين من تفتت لغوي حتمي كان سيؤدي قطعاً إلى إخماد اللغة الروسية المركزية وانبثاق عشرات الألسنة المتداولة في شكل لهجات متوزعة بحسب المجموعات العرقية والدينية، ولا شك في أنها كانت ستتحول إلى لغات رسمية تحمل أعباء التربية والتدوين والخطاب الرسمي والإنتاج الفكري والإبداعي، ولكن إرادة الإنسان قد تدخلت إذ قامت السلطة السياسية المركزية بما أسمته حملة التنقية اللغوية فقاومت نزعة اصطناع اللهجات العامية وخطت لإعادة نشر اللغة الروسية، فأنقذتها من التلاشي". (ص397). بتصرف.

إذن غياب إرادة سياسية واضحة ولها رؤية تخطط يُضعف مكانة العربية، كما في التعليم والإدارة والإعلام (Al-Daffa, 2017, pp. 13–14). . وينبه (Fishman (1991, p. 21 إلى أن حماية اللغة تتطلب دعماً مؤسسياً لا يعتمد على المشاعر فقط، بل يتطلب تنفيذاً فعلياً في الدولة ومؤسساتها. وهذا الغياب

أو الضعف في السياسة والتخطيط اللغوي يترك الأجيال تسيطر عليهم العامية، وتتجذر مشكلة الازدواجية اللغوية.

التحدي الرابع: الازدواجية اللغوية وتفتت المرجعية:

تتبع أزمة الهوية بشكل كبير من التعايش غير المتكافئ بين المستويين الفصحى: لغة المؤسسات والكتب، وبين العامية: لغة الحياة اليومية. وهذا من أخطر ما يواجه العربية من وجهة نظر الباحث ؛ لأن اللغة التي نتحدث بها في حياتنا اليومية تحمل كل شيء عنا ،فتظهر مشاعرنا وفكرنا ، وسلوكياتنا ، وكيف نتعلم ، وكيف نفهم العالم ، وكيف نعبر عنه ، وكيف نصنع العوالم من حولنا ، بل اللغة التي نمارسها في حياتنا إنما تصنعنا نحن ؛ فإذا تُرك ذلك للغة العامية فإن اللغة الفصحى ستصير إلى الصورة الصورية والأنموذج الجامد الذي لا جراك فيه ، والشكل الذي يتعامل به في الرسميات .و. بل صرنا في أكثر الأحيان إذا أردنا أن نعبر عن تلك الرسميات بالألسنة عدنا إلى العامية ، ولا يهتم أحد للفصحى إلا من رحم . ولا يحرص أحدٌ على تعلمها والحالة كذلك، وهذا عَبنٌ كبيرٌ للغة الفصحى وعقوق ما بعده عقوق. وكما أشار المسدي (2014) أن إبقاء الوضع اللغوي على حاله واستفحال ظاهرة التفكك التدريجي ينخر في اللغة القومية، وأن الظن بأن الحل السحري في إحلال الحرف اللاتيني أو العامية محل الفصحى يقود إلى الاستئصال المنهجي لجذور الهوية والتهايوي الذاتي وإغماس الخنجر الحديدي بين أكتاف الأمن اللغوي. (ص19-20).

التحدي الخامس: الإعلام وتشكيل الذوق اللغوي وأثره على الهوية:

يُعد الإعلام أحد أبرز الفواعل التي تعمق أزمة الازدواجية اللغوية، حيث يُظهر تحليل الخطاب الإعلامي، من منظور نقدي، قدرة هذا الخطاب على ترسيخ صورة نمطية سلبية عن اللغة العربية الفصحى. بينما يزداد حضور العامية في الفضاء الإعلامي، وهو ما لاحظ El-Dash و Tucker (1975) أنه يُضعف مكانة الفصحى في الوعي الجماعي، حيث يتم في المقابل تقديم الفصحى في كثير من البرامج الترفيهية والدرامية كلغة ثقيلة أو بالية (Al Sulaiti & Baker, 2016). هذه الممارسة الإقصائية الأيديولوجية لا تكتفي بتغيير الذوق اللغوي العام، بل تزرع الثقة بين الفرد ولغته الأم اللغة العربية، مما يؤثر سلبيًا على انتمائه الهوياتي. وقد استعرض أبو راس (2013) الدور المزدوج للمؤسسات الإعلامية، مشيرًا إلى أن الخطر على اللغة العربية أصبح يأتي من داخل المنظومة الإعلامية العربية نفسها، التي تتجاهل أحيانًا دور الفصحى كرمز للهوية الجامعة (Al Sulaiti & Baker, 2016; Holes, 2004). ولا يقتصر تأثير الإعلام على تشويه صورة اللغة لدى أبنائها فحسب، بل يمتد ليشكل تصورًا سطحيًا ومغلوطًا لدى غير الناطقين بها، مما يضع تحديًا إضافيًا أمام الجهود المبذولة لتقديمها كلغة حضارة وثقافة عالمية.

التحدي السادس: تعليم العربية للناطقين بغيرها وتحديات الهوية:

تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هو بالفعل أحد التحديات الجوهرية التي تواجه الهوية اللغوية العربية؛ لأنه إما أن يكون هذا التعليم جسراً لنشر اللغة بهويتها الحضارية بنجاح، أو يتحول إلى نقطة ضعف تكشف عن قصور في المناهج والرؤية التي ترعى هذا الجانب، مما يؤثر سلبيًا على مكانة اللغة وهويتها في عالمها الخاص والعام؛ فرغم إقبال الكثيرين من غير العرب على تعلم العربية لأسباب متعددة، ولكل له وجهة في ذلك، إلا أن أدوات التعليم ضعيفة، لا توازي الجهود المبذولة، ولا التوقعات المأمولة. والسبب الرئيس هو عدم التخطيط لتعزيز الهوية العربية والإسلامية عند إعداد المناهج والتخطيط لتعليمها للناطقين بغيرها، حتى أصبح تعليمهم إياها لا يُعزز ارتباطًا هوياتيًا حقيقيًا (Ryding, 2006, pp. 8–9; Al-Batal, 2011, p. 5)؛ وليس بمنكور أن التحديات التي تُواجه اللغة العربية هي ذاتها تحديات للهوية العربية ولمجمل الوجود العربي ذاته؛ فاللغة مصدر الهوية. حيث تشكل أزمة اللغة أزمة مصدرة للهوية، وهذا يعني أن أي ضعف في أساليب تعليم اللغة ونشرها هو تهديد مباشر لمصدر الهوية. وقد سبق التنبيه على أن العلاقة بين اللغة والثقافة قوي جدًا، فهما كالعملة ذات الوجهين، وعندما تركز برامج تعليم العربية للأجانب على الجانب اللغوي فقط وتهمل المحتوى الثقافي والحضاري، فإنها تهمل بناء الوعي، وتوجيهه نحو هوية العرب والمسلمين، وثقافتهم، وحضارتهم وبذلك تفصل اللغة عن روحها، وهذا بحد ذاته تحدٍ كبير. فالمتعلم الأجنبي يهتم بثقافتنا من منطلق حاجاته هو، وليس حاجتنا نحن، وإذا لم تُلب المناهج هذه الحاجات، فإنها تفشل في خلق ارتباط حقيقي بين الهوية والانتماء للثقافة والحضارة العربية وبين متعلمي العربية، فتعليم العربية لغير أهلها ليس مجرد عملية تعليمية، بل ضرورة حضارية وهوياتية.

ثامناً: النتائج والمناقشة:

بعد التحليل الذي استعرض أبعاد العلاقة بين اللغة العربية والهوية، والتحديات التي تواجه هذا الدور، يقدم هذا القسم خلاصة النتائج التي توصلت إليها الدراسة، مع مناقشة دلالاتها في ضوء الإطار النظري للسانيات الهوياتية.

أولاً: نتيجة العلاقة بين اللغة والهوية: علاقة بناء جدلية متعددة المستويات:

أثبت التحليل، بما يتوافق مع الفرضية الأولى، أن العلاقة بين اللغة العربية والهوية ليست مجرد علاقة انعكاس، بل هي علاقة بناء جدلية وتأسيسية تعمل على مستويات متداخلة. فمن خلال تحليل دور اللسان الأم

تبين أنه البنية الأولى التي تتشكل عبرها الذات الفردية، حيث لا يكتسب الفرد اللغة كأداة فحسب، بل يسكنها وتُبنى هويته من خلالها، كما أشار (Joseph, 2004). وعلى مستوى الهوية الوطنية والقومية، كشف التحليل أن اللغة تعمل وعاءً للذاكرة، ورمزاً للمقاومة الثقافية، وهو ما يتفق مع رؤية (Fairclough, 1992) حول تقاطع اللغة مع السلطة والذاكرة. وأخيراً، على مستوى الهوية الإسلامية، أظهر التحليل أن العربية تتجاوز وظيفتها التواصلية لتصبح رمزاً مقدساً ولغة شعائر، مما يمنحها قوة توحيدية فريدة. إذن، تجيب هذه النتيجة على السؤالين الأول والثاني للبحث، مؤكدة أن اللغة هي فاعل مركزي يُنتج الانتماء على كافة المستويات.

ثانياً: نتيجة طبيعة التحديات: أزمة بنيوية متكاملة تهدد الوظيفة الهوياتية:

أظهر تحليل التحديات، بما يؤكد الفرضيتين الثانية والثالثة، أن تراجع الدور الهوياتي للعربية ليس نتاج عامل منفرد، بل هو نتيجة لأزمة متكاملة تتفاعل فيها عوامل داخلية وخارجية. فقد كشف التحليل أن هيمنة اللغات الأجنبية والازدواجية اللغوية لا يمثلان مجرد ظواهر لسانية، بل هما ممارستان تعيدان تشكيل الرأسمال اللغوي في المجتمع، وتضعفان من القيمة الرمزية للفصحى. ويتفاقم هذا الوضع بسبب ضعف السياسات اللغوية وغياب التخطيط الاستراتيجي، مما يترك فراغاً يستغله الإعلام الذي يرسخ، عبر خطابه، صوراً نمطية سلبية عن الفصحى، ويسرع من انفصال الأجيال الجديدة عنها. وهذه النتيجة تجيب بوضوح على السؤال الثالث، وتؤكد أن المشكلة لا تكمن في اللغة ذاتها، بل في إدارة فضائها اللغوي والاجتماعي.

ثالثاً: مناقشة الدلالات وتأکید دور اللسانيات الهوياتية:

إن هذه النتائج مجتمعة تقود إلى استنتاج أعمق: وهو أن حماية الهوية الذاتية والوطنية والعربية والإسلامية تتطلب وعياً لسانياً استراتيجياً. فالتعامل مع اللغة كقضية تعليمية أو ثقافية معزولة لم يعد كافياً. وتكشف هذه الورقة أن اللغة هي بنية أساسية في بناء الانتماء والحفاظ على الهوية. وأن أي تراجع في مكانتها يمثل تهديداً مباشراً للذات وللجماعة وللتماسك الاجتماعي والمناخ الحضارية. وهنا، تبرز أهمية اللسانيات الهوياتية كأداة تحليلية وتشخيصية، فهي لا تكتفي بوصف الظواهر، بل تكشف عن آليات بناء الهوية وتفككها عبر الخطاب، مما يمكن المؤسسات المعنية من الانتقال من ردود الفعل الدفاعية إلى التخطيط الاستباقي. وهذا يؤكد الفرضية الرابعة ويجيب على السؤال الرابع، ممهداً الطريق منطقياً نحو صياغة الاستراتيجيات العملية التي ستقترحها الورقة في القسم التالي.

تاسعاً: إستراتيجيات مقترحة لتفعيل الدور الهوياتي للغة العربية:

انطلاقاً من النتائج التي كشفت عن طبيعة العلاقة بين اللغة والهوية والتحديات البنوية التي تواجهها، تقترح هذه الدراسة إطاراً استراتيجياً متكاملاً يهدف إلى تفعيل الدور الهوياتي للغة العربية. هذه الإستراتيجيات لا تتعامل مع اللغة كأداة منفصلة، بل كبنية تأسيسية لبناء الهوية الذاتية والوطنية والقومية والإسلامية، وتستثمر مقاربات اللسانيات الهوياتية لمعالجة الأزمة من جذورها.

1. إستراتيجية التحصين الهوياتي على مستوى الذات (لمواجهة انفصال الأجيال).

- يكمن الهدف في إعادة ربط الفرد بلغته الأم (الفصحى) كبنية أولى لتكوين الذات.
- إعادة بناء الخطاب التربوي عبر تصميم مناهج تعليمية في المراحل المبكرة لا تركز على القواعد النحوية الجامدة، بل على اللغة ككينونة من خلال القصص والأناشيد والألعاب التي تجعل من الفصحى لغة حياة وتعبير عن المشاعر، وليس فقط لغة معرفة.
- تفعيل دور الأسرة بإطلاق حملات توعية موجهة للأسرة حول أهمية استخدام الفصحى المبسطة في الحوار اليومي مع الأطفال، لترسيخها كـ "لسان أم" ينمي الوعي الذاتي والانتماء الطبيعي.

2. إستراتيجية تعزيز الانتماء الوطني والقومي (لمواجهة هيمنة اللغات الأجنبية). تهدف إلى ترسيخ مكانة

- اللغة العربية كرمز للسيادة الوطنية والذاكرة القومية العربية. ومن الآليات المقترحة:
- صياغة خطاب وطني لغوي، بتوظيف اللغة العربية في الخطابات الرسمية والاحتفالات الوطنية كرمز للمقاومة الثقافية، يربط بين اللغة والاستقلال الحضاري والفكري.
- إعادة تأهيل الفضاء العام بإلزام المؤسسات العامة والخاصة باستخدام اللغة العربية في واجهاتها وإعلاناتها وتواصلها الرسمي، لتعزيز حضورها البصري والرمزي في الحياة اليومية.

3. إستراتيجية تعميق البعد الحضاري والإسلامي (لمواجهة التسطيح الثقافي). وتهدف إلى تفعيل دور اللغة

- العربية كحامل للهوية الإسلامية الجامعة وجسر للتواصل الحضاري. ومن الآليات المقترحة لذلك:
- تطوير خطاب ديني معاصر، بإنتاج محتوى ديني وثقافي باللغة العربية الفصحى يخاطب قضايا العصر، ويقدم اللغة ليس فقط كلغة شعائر، بل كلغة فكر وحضارة قادرة على التفاعل الحياتي مع العالم.
- دعم الترجمة من وإلى العربية: بتشجيع ودعم مشاريع الترجمة التي تنقل كنوز الفكر العربي والإسلامي إلى العالم، وتجلب في المقابل المعارف العالمية إلى الفضاء العربي، لتعزيز مكانة اللغة كوسيط حضاري عالمي.

4. إستراتيجية المواجهة النقدية للخطاب الإعلامي (لمواجهة التتميط السلبي). تهدف إلى تحويل الإعلام

- من عامل هدم إلى أداة بناء للوعي اللغوي العربي. عبر بعض آليات مقترحة، مثل:
- تأسيس هيئات متخصصة تقوم بتحليل الخطاب الإعلامي، ورصد الممارسات التي تسيء للغة، وتقديم تقارير دورية لصناع القرار والجمهور.

- إنتاج محتوى إعلامي جاذب بالفصحى عبر إنتاج برامج ثائقية ودرامية وأعمال موجهة للشباب تستخدم لغة عربية فصيحة ومعاصرة، تثبت أنها لغة حية وقادرة على التعبير عن كل جوانب الحياة.

5. إستراتيجية التخطيط اللغوي المؤسسي (لمواجهة غياب السياسات) تهدف: إلى الانتقال من الجهود

- الفردية إلى عمل مؤسسي إستراتيجي، ويمكن تصور الآليات المقترحة فيما يلي:
- تأسيس مجالس عليا للتخطيط اللغوي بإنشاء هيئات وطنية ذات صلاحيات تنفيذية تكون مسؤولة عن وضع سياسات لغوية واضحة وملزمة في مجالات التعليم والإعلام والإدارة.

عاشراً: الخاتمة: نتائج وتوصيات:

في ختام البحث، الذي انطلق من حقل اللسانيات الهوياتية لاستكشاف الدور المحوري للغة العربية في تشكيل الهوية يمكن التأكيد بأن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي بنية تأسيسية استراتيجية في بناء الوعي والانتماء الهوياتي من مستوى الذات الفردية إلى الأمة. وقد كشف التحليل عن علاقة جدلية، حيث لا تعكس اللغة الهوية فحسب، بل تنتجها وتعيد تشكيلها عبر آليات رمزية واجتماعية معقدة.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المحورية، أبرزها:

1. إن قوة اللغة العربية الهوياتية تكمن في تعدد أبعادها؛ فهي لسان الأم الذي يبني الذات، وذاكرة الأمة التي ترسخ الانتماء الوطني والقومي، ورمز العقيدة الذي يوحد الهوية الإسلامية الجامعة.
 2. التحديات التي تواجه العربية ليست مجرد عقبات ظرفية، بل هي أزمة بنيوية متكاملة؛ حيث يتفاعل ضعف السياسات اللغوية مع هيمنة اللغات الأجنبية، وتتفاقم المشكلة بفعل الازدواجية اللغوية والدور السلبي الذي يلعبه الإعلام أحياناً، مما يؤدي إلى انفصال الأجيال الجديدة عن جذورها الهوياتية.
 3. إن المقاربة اللسانية الهوياتية تقدم إطاراً علمياً ضرورياً لتشخيص هذه الأزمة، فهي تتجاوز الوصف السطحي لتكشف عن الآليات الخفية التي يتم من خلالها بناء الهويات أو تفكيكها.
 4. الحفاظ على الدور الهوياتي للغة العربية لم يعد قضية ثقافية فحسب، بل هو ضرورة استراتيجية لحماية الهوية الذاتية والوطنية والقومية والإسلامية، وبناء التماسك المجتمعي، والأممي، وضمان مستقبل تكون فيه اللغة درعاً للهوية وجسراً نحو التقدم.
- وبناءً على هذه النتائج، فإن الدراسة توصي بضرورة الانتقال من المقاربات الدفاعية المنعزلة إلى تبني وعي لساني إستراتيجي، وتدعو المؤسسات المعنية إلى ما يلي:
- على المستوى التربوي: إعادة تصميم المناهج التعليمية لتجعل من الفصحى لغة حياة وتعبير، لا مجرد مادة دراسية، لترسيخها في وعي النشء كبنية أولى للهوية.
- على المستوى الإعلامي والثقافي: دعم إنتاج محتوى إعلامي وثقافي جاذب باللغة العربية الفصحى، ومواجهة الخطابات التي تكرر صورة نمطية سلبية عنها، لتعزيز مكانتها في الفضاء العام.
- على المستوى السياسي والمؤسسي: تأسيس مجالس عليا للتخطيط اللغوي، تكون مسؤولة عن وضع سياسات لغوية واضحة وملزمة.

قائمة المراجع:

- أبوراس، ع. (2013)، 7-10 مايو. (دور المؤسسات الإعلامية في حماية اللغة العربية [عرض ورقة بحثية]. المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- أنيس، إ. (1980). من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية.
- بوراس، ي. (د.ت.). هيمنة اللغات الأجنبية على اللغة العربية - مخاطرها على المجتمع العربي. مجلة اللسانيات والآداب، 5(1)، 1-10.
- حمودة، ع. ع. (2002). المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيكية. عالم المعرفة.
- عبد الواحد، م. (2007). اللغة والدين: جدل العلاقة وإشكالية التوظيف. مركز نماء للدراسات.
- المسدي، ع. س. (2014). الهوية العربية والأمن اللغوي: دراسة وتوثيق. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- الودغيري، ع. (د.ت.). لغة الأمة ولغة الأم: عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية. دار الكتب العلمية.

Al Batal, M. (2011). Teaching Arabic as a Foreign Language: Issues and Directions. Georgetown University Press.

Al Daffa, A. (2017). Language Planning in the Arab World. King Saud University Press.

Al Sulaiti, L., & Baker, P. (2016). Arab Identity in Digital Spaces: Discourses and Representations. Routledge.

Anderson, B. (2006). Imagined communities: Reflections on the origin and spread of nationalism (Rev. ed.). Verso.

Block, D. (2006). Multilingual identities in a global city: London teenagers. Palgrave Macmillan.

Block, D. (2007). Second Language Identities. Continuum.

- Bourdieu, P. (1991). Language and Symbolic Power. Harvard University Press.**
- Bucholtz, M., & Hall, K. (2005). Identity and interaction: A sociocultural linguistic approach. Discourse Studies, 7(4–5), 585–614.**
- Buzan, B., Wæver, O., & de Wilde, J. (1998). Security: A new framework for analysis. Lynne Rienner Publishers.**
- El Dash, L., & Tucker, G. R. (1975). Diglossia and language policy in the Arab world. Language Problems and Language Planning, 1(1), 25–45.**
- Fairclough, N. (1992). Discourse and social change. Polity Press.**
- Fairclough, N. (2010). Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language (2nd ed.). Routledge.**
- Ferguson, C. A. (1959). Diglossia. Word, 15(2), 325–340.**
- Fishman, J. A. (1991). Reversing Language Shift: Theoretical and Empirical Foundations of Assistance to Threatened Languages. Multilingual Matters.**
- Gee, J. P. (2000). Identity as an analytic lens for research in education. Review of Research in Education, 25, 99–125.**
- Holes, C. (2004). Modern Arabic: Structures, Functions, and Varieties (Rev. ed.). Georgetown University Press.**
- Jernudd, B. H., & Neustupný, J. V. (1987). Language planning: For whom? Current Issues in Language Planning, 8(1), 1–14.**
- Joseph, J. E. (2004). Language and Identity: National, Ethnic, Religious. Palgrave Macmillan.**
- Kramsch, C. (2009). The Multilingual Subject. Oxford University Press.**
- Pavlenko, A., & Blackledge, A. (2004). Negotiation of Identities in Multilingual Contexts. Multilingual Matters.**
- Phillipson, R. (1992). Linguistic Imperialism. Oxford University Press.**
- Ricoeur, P. (1992). Oneself as Another. University of Chicago Press.**

Ryding, K. C. (2006). Teaching and Learning Arabic as a Foreign Language: A Guide for Teachers. Georgetown University Press.

Said, E. W. (1978). Orientalism. Pantheon Books.

van Dijk, T. A. (2000). Ideology and Discourse: A Multidisciplinary Introduction. Universitat Oberta de Catalunya.